

مفاهيم القرآن

(16) إنَّ " التوحيد الافعالى " لا يعنى إنكار العلل الطبيعية أو إنكار مشاركتها فى التأثير وفى حدوث معلولاتها ، بل يعنى مع الاعتراف بأنَّ للعلل تمام المشاركة فى ظهور الآثار، وأنَّ هذه الآثار هى من خواص هذه العلل. أقول: يعنى مع الاعتراف بهذا، الاعتراف بأنَّه لا مؤثر حقيقى فى صفحة الوجود إلاَّ " اللّٰه " وأنَّ تأثير ما سواه من المؤثرات إنَّما هو فى ظل قدرة اللّٰه، ذلكالمؤثر الحقيقى الأصيل، وأنَّ هذه العلل ما هى إلاَّ وسائط للفيض الإلهى. فمنه تعالى تكتسب " الشمس " القدرة على الإشراق والإضاءة كما استمدت منه أصل وجودها. ومنه تعالى تكتسب " النار " خاصية الإحراق والحرارة كما استمدت منه أصل وجودها، وأنَّه تعالى هو الذى منح هذه العلل والأسباب هذه الخواص، وأعطاهها هذه الآثار كما منحها: وجودها أساساً وأصلاً. وبتعبير آخر نقول: إنَّ التوحيد الأفعالى يعنى أنَّه لا مؤثر بالذات - فى هذا الوجود - إلاَّ " اللّٰه "، فهو وحده الذى لا يحتاج إلى معونة أحد أو شىء فى الإيجاد والتأثير والإبداع والابتكار. وأمَّا تأثير ما عداه " من العلل "، فجميعه يكون بالاعتماد على قدرته وقوته سبحانه . بهذا البيان يتضح الفرق بين مدرستين فى هذا المجال: مدرسة الأشاعرة القائلين بعدم دخالة العلل فى الآثار مطلقاً. والمدرسة القائلة بالتوحيد الافعالى.